

حسن العشرة وسعادة الأسرة



محاور الموضوع

- ١- تمهيد: الإسلام دين التواصل
- ٢- حسن التواصل والعشرة
- ٣- الميزان في معايشة الناس
- ٤- حسن العشرة في المنزل
- ٥- نتائج حسن العشرة

الهدف

الحث على حسن اختيار من نعاشر وعلى حسن المعاشرة وخصوصاً للعائلة
تصدير الموضوع
من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لبنينه عند احتضاره: «يا بني عاشرُوا الناس عشرة إن غيبتم حنوا إليكم، وإن فُقدتم بكوا عليكم»^(١).

(١) - البحار، ج ٤٢، ص ٢٤٧.

الإسلام دين التواصل

يقول الله تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(١). فالقاعدة الأولى في الإسلام هي الاجتماع والعشرة والتعارف والتعاون وتبادل الخبرات بين الأمم فلا ينبغي للمسلمين التقاطع والتحارب مع الشعوب الأخرى، بل السلام والوثام هما الحاكمان على علاقات المسلمين مع غيرهم. أما العزلة وعدم العشرة والاجتماع فهي قاعدة ثانوية. وكما دعا الإسلام إلى الوثام مع غير المسلمين فيالضرورة دعا إلى ذلك بين المسلمين أنفسهم. قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٢). وعن رسول الله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى سائر الأعضاء بالسهر والحمى»^(٣).

حسن التواصل والعشرة

وحسن العشرة له اتجاهان:

الاتجاه الأول: حسن اختيار من

تعاشر

حث الإسلام على اكتساب الإخوان، وجعل ذلك من الفضائل التي ينبغي لكل مؤمن أن يتجلى بها.

فعن رسول الله ﷺ: «استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعه يوم القيامة»^(٤). وعنه ﷺ: «من استفاد أخاً في الله عز وجل استفاد بيتاً في الجنة»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»^(٦).

من تواخي؟

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «قدم الاختيار في اتخاذ الإخوان فإن الاختبار يُفرق بين الأخيار والأشرار»^(٧). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «اختبروا إخوانكم بخصلتين فإن كانتا فيهم والأ فاعزب ثم اعزب ثم اعزب، محافظة على الصلوات في مواقيتها، والبر بالإخوان في العسر واليسر»^(٨).

لقد عرفنا بشكل عام أنَّ الأخوة الحقيقية الصادقة هي أخوة أهل الصلاح والثقة، ولكن ما هي معالم الأخوة الصادقة؟

١- العالم الرباني:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عجبت لمن يرغب في التكثير من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء الأتقياء الذين يقتسم فضائلهم وتهديه علومهم وتزيينه صحبتهم»^(٩). وإن قلت أنا لست عالماً فكيف أصحاب العلماء؟ نقول لك تصاحبهم بحضور مجالسهم في المساجد وسماع مواعظهم.

٢- صحبة الحكيم الحليم:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «صاحب الحكماء وجالس الحكماء وأعرض عن الدنيا تسكن جنة المأوى»^(١٠). من هنا يقول لقمان «عدو حليم خير من صديق سفیه»^(١١).

٣- الأخوة في الله:

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «خير الإخوان من كانت في الله مودته»^(١٢).

٤- المذكر بالله والمعين على الطاعة:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «المعين على الطاعة خير الأصحاب»^(١٣).

وعن لقمان قائلاً لابنه: «يا بني، تكلم الحكمة عند أهلها، وعليك بمجالسة أهل الذكر، فإنها محياة للعلم، وتحدث في القلوب خشوعاً»^(١٤).

لا تواخ هؤلاء:

١- الأحق الكذاب:

عن الإمام علي عليه السلام: «إياك وصحبة الأحق الكذاب، فإنه يريد نفعك فيضرك، ويُقرّب منك البعيد، ويُبعد منك القريب، إن ائتمنته خالك، وإن ائتمنتك أهلك، وإن حدثك كذبك، وإن حدثته كذبك، وأنت منه بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً»^(١٥).

٢- صاحب الغاية الدنيوية:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «احذر أن تواخي من أرادك طمع أو خوف أو ميل أو لآكل والشرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء، ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم»^(١٦).

٣- الفاجر الشرير الفاسق:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره»^(١٧).

(١٢). ميزان الحكمة، ج ٢٤، ص ٢٦٤.

(١٣). م.، ن.، ج ١٣٢٠.

(١٤). حكم لقمان، محمد الري شهري، ص ١١٠.

(١٥). ميزان الحكمة، ج ١٠٢٤٨.

(١٦). م.، ن.، ج ٢٣٠.

(١٧). الخصال، ص ٨٠.

(٦). نهج البلاغة، حكمة، ١١.

(٧). ميزان الحكمة، ج ٢٨٢.

(٨). م.، ن.، ج ٢٨٦.

(٩). ميزان الحكمة، حديث ١٠٢٤٨.

(١٠). ميزان الحكمة، ج ١٠٢٤٥.

(١١). بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٤٦٦، ج ٧٠.

(١) سورة الحجرات، الآية/١٣.

(٢) آل عمران الآية/١٠٢.

(٣) كنز العمال ج ٤ ص ٢٨٣٧.

(٤) كنز العمال، ٢٦٤٤٢.

(٥) ثواب الأعمال، ج ١، ص ١٨٢.



٤- البخل:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّكَ ومصاحبة البخل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه»^(١).

٥- الكافر:

عن النبي صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخذ كافرًا»^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنه عدم مؤاخاة الكافر غير الحربي لا تعني عدم القسط معه، فرب كافر أسلم لحسن تعامل المسلمين معه.

٦- السباب الفحاش:

قال لقمان: «إِنَّ الفاحش البذيء الشقيّ إن يُحدّث فضحه لسانه، وإن سكت فضحه العي، وإن عمل أساء، وإن فعل أضاع...»^(٣).

٧- صاحب اللهو:

عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّكَ وصحبة من أهلك وأغراك فإنه يخذلك ويوبقك»^(٤).

٨- الجبان:

عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا تُصادق ولا تؤاخ أربعة: الأحمق والبخل والجبان والكذاب (إلى أن يقول) وأما الجبان فإنه يهرب عنك وعن والديه»^(٥).

٩- ناشر المثالب والنمائم:

عن الإمام علي عليه السلام: «لا تؤاخ من يستر مناقبك وينشر معائبك»^(٦).

الاتجاه الثاني: حسن المعاشرة

بعد الاختيار الحسن لمن نخالط أو الاضططرار إلى مخالطة البعض هناك أسس لحسن المعاشرة مع الناس يجمعها عنوان الاخلاق الحسنة.

إن للعشرة حقوقاً وأدباً رسمها الإسلام، ويقدّر مراعاتها والحفاظ عليها يكون النجاح في العلاقات مع الآخرين، وهي على درجات في بناء الأواصر والروابط بمقدار التودد والتواصل.

يوصي موسى المتيقن علي عليه السلام ببناءه بالمحافظة على أعلى درجات العشرة الطيبة والمعاملة الحسنة فمن وصية أمير المؤمنين عليه السلام لبنيه عند احتضاره: «يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوًا إليكم، وإن فقدتم بكوا عليكم»^(٧).

أ- الميزان في معاشرة الناس

قد يتساءل بعضنا عن ضوابط العشرة

وحدودها وما هو الميزان الذي ينبغي أن تزان الأمور به حيث مفردات العلاقة مع الآخرين كثيرة ومتشعبة وقد يضع الإنسان في شعبها إن لم يكن على بصيرة من أمره، فهل يعني حسن معاشرة الجار الدفاع عنه ولو كان ظالمًا وهل تعني المعاملة الجميلة التمسك والسكوت للجلس حتى وإن كان كلامه باطلاً أو جارحاً أو يمثل غيبة للآخرين وطفلاً معنوياً لهم؟

وهل يعني حسن معاملة الأولاد ترك الاختيار لهم في الالتزام بالأحكام الشرعية وعدم الالتزام بها من قبيل تخيير البنت بين الحجاب وعدمه أو غير ذلك؟ الجواب إن العشرة بأسوء درجاتها ومراحلها تتمثل في الإقرار والإمضاء للمنكر، وليس من حسن العشرة كما تقدم في التساؤلات بل على العكس تماماً يقتضي التعامل بإحسان أن أساهم بمنع الآخرين عن التجاوز وارتكاب المحارم وأعاونهم على الخيرات وأداء الحقوق سواء حقوق أنفسهم أو حقوق الآخرين لديهم فضلاً عن الحق الإلهي بالطاعة.

لكن في معالجة الموقف وتصحيح المسار موازين بعد الانتهاء من القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وواجب التعاون والإصلاح تحدّث عنها أمير المؤمنين عليه السلام بوضوح حيث قال:

«اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، وأحب لغيرك ما تحب لنفسك، وكره لها ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك وأرض من الناس، ما ترضى لهم منك»^(٨).

ب- حسن العشرة في المنزل

حينما نتحدث عن حسن العشرة نريد منه المجموع لا الاكتفاء بفرد دون آخر، فلو كانت علاقة الإنسان ممتازة مع أخوانه وأصدقائه أو مع جيرانه ولكنه في نفس الوقت لا يهتم بمعاملة الآداب مع عائلته داخل المنزل، بحيث تلقى منه الويلات والمصائب في كلماته النابية ومعاملته السيئة فهو ليس على خير ولم يحم بما هو مطلوب منه كاملاً لأن المطلوب هو المجموع أي حسن العشرة مع الكل ولا يعذر المرء إذا أساء المعاملة مع أولاده أو بعض أرحامه بداعي المحافظة على حسن ارتباطه بالآخرين، فالمعاشرة المنزلية الجميلة أمر لا غنى عنه وجزء لا يتجزأ من منظومة المعاشرة بإحسان بل هي الجزء الأهم والأساس. يقول مولانا الصادق عليه السلام: «إن

المرء يحتاج في منزله وعباله إلى ثلاث خلال يتكفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وبخيرة بتحصن»^(٩). وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: «لا يكن أهلك أضقى الخلق بك»^(١٠).

ج- نتائج حسن العشرة

فقد ورد عنهم عليه السلام أحاديث عديدة تكشف عن النتائج الهامة للعشرة الكريمة:

١- دوام المودة:

في الحديث: «بحسن العشرة تدوم المودة»^(١١).

٢- دوام الوصلة:

في الحديث: «بحسن العشرة تدوم الوصلة»^(١٢).

٣- عمارة القلوب:

في الحديث: «عمارة القلوب في معاشرة ذوي العقول»^(١٣).

٤- السعادة والنيل:

عن موسى المتيقن علي عليه السلام: «عاشر أهل الفضل تسعد وتنبّل»^(١٤).

٥- انس الرفيق:

في الحديث: «بحسن العشرة تأنس الرفاق»^(١٥).

٦- السلامة من القوائل:

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «جاملوا الناس بأخلاقكم تسلموا من غوائلهم، وزايلوهم بأعمالكم تلتا تكونوا منهم»^(١٦).

٧- هداية الآخرين

فكم من إنسان انتهى إلى الحق عن طريق المعاشرة الحسنة، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك من تاريخ النبي واله- مثال اليهودي مع الرسول والذي مع أمير المؤمنين- ومن الواقع.

خاتمة

أيها الأخوة إن الاخلاق الحسنة وحسن العشرة مسؤوليتنا نحن كمؤمنين، علينا أن نراعيها في سلوكنا مع الآخرين، حتى ولو كانوا يخالفوننا في ديننا أو مذهبنا، علينا أن لا نهمل ذلك مع أقاربنا وأسرتنا. فلا يكونوا أشقى الناس بنا.

(٩) . البحار، ج ٧٨، ص ٢٣٦.

(١٠) . نهج البلاغة، الكتاب ٢١، والحكمة ٢٥٧.

(١١) . ميزان الحكمة، حديث: ١٢٩٨.

(١٢) . م.م.، حديث: ١٢٩٩١.

(١٣) . م.م.، حديث: ١٣٠٠١.

(١٤) . م.م.، حديث: ١٣٠٠٢.

(١٥) . م.م.، حديث: ١٢٩٩٠.

(١٦) . تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١٤.

(٨) . البحار، ج ٧٧، ص ٢٠٢.

(١) . بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٦، ح ٢٩.

(٢) . م.م.، ج ٧١، ص ١٩٧، ح ٣١.

(٣) . حكم لقمان، محمد الري شهري، ص ١١١.

(٤) . ميزان الحكمة، ح ١٠٢٧٦.

(٥) . بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٢، ح ٨.

(٦) . ميزان الحكمة، ح ٢٣٥.

(٧) . البحار، ج ٤٢، ص ٢٤٧.